الحمد لله الكبير المتعال ، رب السماوات والأرض وما فيهن والعليم بكل حال ، أحمده سبحانه وتعالى وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، تفرد بالعظمة والكبرياء ، وتوحد بالعز والبقاء . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فيما نقضه وأبرمه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله، اجتباه ربه فأكرمه، واصطفاه فكرّمه، أعزه على الخلائق ومن شرهم عصمه .صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فأوصيكم . أيها الناس . ونفسي بتقوى الله عز وجل، فاتقوا الله رحمكم الله، فمن اتقى ربه فاز وسعد، ونال يوم الجزاء جميل ما وُعد، أخلصوا لربكم في العبادة والطاعة، والزموا الجمعة والجماعة، وبادروا بالأعمار صالح الأعمال، وأعدوا العدّة ليوم لا بيع فيه ولا خلال، اعتبروا بما طوت الأيام من صحائف السالفين، واتعظوا بما أذهبت المنايا من أماني المسرفين.

عزة المؤمن

أيها المسلمون: الكبرياء على العباد صفة رب العباد ، الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى ، والذى إذا ظهر قهر ، وإذا تجلى طاشت لأنوار جلاله ألباب البشر" : فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين ، وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم . "وذلة العباد لربهم ذلة بالحق لا بالباطل .فللخلق والأمر، والغنى والملك له وحده .ومصاير العباد رهن مشيئته وطوع إرادته .وهم إنما يكونون فى أزكى أحوالهم ساعة تعنو جباهُهُم لرب العزة فى السجود الخاضع الطويل . عندئذ يعرفون وضعهم ويلزمون حدهم ، ويعطون الخالق الكبير حقه الذى لا مرية فيه .ولا عدوان فى تقريره.

أما ذلة العبد لعبد مثله فباطل لا ريب فيه. والمتكبر منهما متطاول مبطل، يزعم لنفسه ما ليس لها، والوضيع المستعبد جاهل بقدره ، تحمّل من الأوزار ما لا يطيق .

عباد الله: لقد حرم الإسلام الذل وأوجب العزة ، حرم على المسلم أن يهون ، أو يستذل ، أو يستضعف ، ورمى فى قلبه القلق والتبرم بكل وضع يخدش كرامته ويجرح مكانته . رُوى عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " :من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على ربه . ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فإنما يشكو الله تعالى. ومن تضعضع لغنى لينال مما فى يديه أسخط الله ، ومن أُعطى القرآن فدخل النار ، فأبعده الله. "

وفى رواية " :من جلس إلى غنى فتضعضع له ، لدنيا تصيبه ، ذهب ثلثا دينه ، ودخل النار . " وهذا الحديث يستنكر الضراعة التى تظهر على بعض الناس حين تمر بهم الأزمات ، فيبكون ما فقدوا من حطام ،ويصيحون بالخلق طالبين النجدة ، ويتمرغون فى تراب الأغنياء انتظار عرض يفرضونه لهم، أو يقرضونه إياهم .

إن التألم من الحرمان ليس ضعة ، ولكن تحول الحرمان إلى هوان هو الذى يستنكره الإسلام. فقد مضت سنة الرجولة من قديم الزمن أن يتحامل الجريح على نفسه حتى يشفى فيستأنف المسير بعزم ، لا أن

يخور ، ثم يتحول إلى كسيح ، ثم ينتظر الحاملين . وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم " :من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا . "

إن اعتزاز المسلم بنفسه ودينه وربه هو كبرياء إيمانه ، وكبرياء الإيمان غير كبرياء الطغيان ، إنها أنفة المؤمن أن يصغر لسلطان ، أو يتضع فى مكان ، أو يكون ذنبا لإنسان .هى كبرياء فيها من التمرد بقدر ما فيها من الاستكانة ، وفيها من التعالى بقدر ما فيها من التضامن :فيها الترفع على مغريات الأرض، ومزاعم الناس وأباطيل الحياة ، وفيها الانخفاض إلى خدمة المسلمين والتبسط معهم ، واحترام حقوقهم ، فيها إتيان البيوت من أبوابها ، وطِلاب العظمة من أصدق سبلها" .من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور . "
العزة والإباء والكرامة، من أبرز الخلال التى نادى بها الإسلام ، وغرسها فى أنحاء المجتمع، وتعهد نماءها بما شرع من عقائد وسنّ من تعاليم___

وتأملوا رحمكم الله، تأملوا في نداء المؤذن خمس مرات كل يوم مناديا بتكبير الله وحده فى بداية الأذان ونهايته ؟ علام يفعل ذلك؟ولماذا يتكرر هذا التكبير فيكتنف حركات الصلاة كلها من قيام وقعود ؟ ذلك لكي يوقن المسلم يقينا لا يهتز
ولا يزيغ ، أن كل متكبر بعد الله فهو صغير ، وإن كل متعاظم بعد الله فهو حقير ، وكأنما وكل إلى هذا النداء أن يرد الناس إلى الصواب كلما أطاشتهم الدنيا ، وضللتهم متاهاتها الطامسة . وتوكيدا لهذه المعانى اختار الله عزّ وجل اسمى العظيم والأعلى من أسمائه الحسنى ليكررها المسلم فى أثناء ركوعه وسجوده ، فتشربُ روحُه إفرادَ رب العالمين بالعظمة والعلو..

إخوة الإيمان: العزة حق يقابله واجب ، وليس يسوغ لامرئ أن يطالب بما له من حق، حتى يؤدى ما عليه من واجب ، فإذا كلفت بعمل فأديته على أصح وجوهه فلا سبيل لأحد عليك ، ولا يستطيع من فوقك ولا من دونك مرتبةً أن يعرض لك بلفظ محرج ، أو ينفذ إليك باللوم والتقريع .

إن ألد أعدائك حينئذ يتهيبك . يقول الله تعالى" : للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ، والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . "

إن ارتكاب الآثام سبيل السقوط والإهانة ، ومزلقة إلى خزى الفرد والجماعة . وقد بين الله أن الهزيمة فى غزوة أحد كان سببها ما ارتكبه البعض من مخالفات" . إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم "
.

والإسلام عندما أوصى المسلم بالعزة هداه إلى أسبابها ، ويسر له وسائلها ، وأفهمه أن الكرامة فى التقوى ، وأن السمو فى العبادة ، وأن العزة فى طاعة الله، والمؤمن الذى يعلم ذلك ويعمل به، يجب أن يأخذ نصيبه كاملا غير منقوص فى الحياة الرفيعة المجيدة .فإذا اعتدى عليه أحد، أو طمع فيه باغ، كان انتصابه للدفاع عن نفسه جهادا فى سبيل الله .وموته

دون حقه شهادة في سبيل الله : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :يا رسول الله ، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى ؟ قال :لا تعطه مالك ! قال :أرأيت إن قاتلنى ؟ قال: قاتله !قال :أرأيت إن قتلنى؟ قال :فأنت شهيد !قال أرأيت إن قتلته ؟ قال :هو فى النار.

"نعم : إن من عزة المؤمن ألا يكون مستباحا لكل طامع ، أو غرضا لكل هاجم .بل عليه أن يستميت دون نفسه وعرضه .وماله وأهله .وإن أريقت فى ذلك دماء " فإن هذا رخيص لصيانة الشرف الرفيع. وإنما شرع الله الثأر من المظالم ، إعزازا لجانب المظلوم وإضعافاً لجانب العادى فعلق المسلم بحقوقه وملأ بها يديه ، وأغراه أن يتشبث بها فلا ينزل عنها إلا عفوا كريما ، أو سماحة تزيده عزا على عز . .

.

أيها الإخوة الأحبة: ولما كان فى النفس الإنسانية شىء من الضعف أو القلق ، ربما حملها على الخنوع لمن يملك الفصل فى أمورها وقضاء مطالبها ، وربما انزلق بها إلى مواقف تجافى الكرامة ، لذلك علمنا رسول

الله صلى الله عليه وسلم ألا نستكين فى هذه الأمور وأن تبقى جباهنا عالية ونحن نسعى إلى ما نبغى فقال عليه الصلاة والسلام " :اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجرى بالمقادير "

أيها المؤمنون: البشر ولو اجتمعوا بأسرهم أذل من أن يمنعوا شيئا أعطاه الله ، وأقل من أن يعطوا شيئا منعه الله ، وعلى المسلم أن يرد مصاير الأمور إلى مدبرها الأعظم .وأن يجعل فيه الثقة وعليه المعول . وليكبر دينه فلا يذل به ، وليملك نفسه فلا يعطى فرصة لأحمق كي يستعلى عليه ويستكبر ، فإن أمراً لن يتم إلا إذا أمضاه الله" :. ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم . "

إن مظهر السلطة الذى يمنحه الله طائفة من العباد لا يغير قيد شعرة من إرادة القاهر فوق العباد .وحينما يخالجنا الشعور بالعجز والغلبة على أمرنا ، فلنتيقن أن هذا الإحساس والشعور منتف فى حق الله الذى لا يُعجزه

شيء في الأرض ولا في السماء " : والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون . "

إن الأدنى إلى الحق ، والأقرب إلى النفع ، والأرشد فى علاج المشاكل أن يظل المسلم منتصب القامة مرتفع الهامة ، لا تدنيه حاجة ولا تطويه شدة يجأر إلى مولاه بالدعاء ويكشف انكساره لربه وحده ، فلا يبدى صفحته لمخلوق ، فاقهاً قول الله له" :وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم. "

الحمد لله المتوحد بالعظمة والجلال، المتصف بصفات الكمال، أحمده سبحانه وأشكره شكراً يزيد النعم ويحميها من الزوال. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أنقذ الأمة من الضلال، وهدى بإذن ربه إلى أشرف الخصال، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه خير صحب وآل، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الناس يذلون أنفسهم ، ويقبلون الدنية فى دينهم ودنياهم ، لواحد من أمرين :إما أن يصابوا فى أرزاقهم ، أو فى آجالهم .والغريب أن الله قطع سلطان البشر على الآجال والأرزاق جميعا ، فليس لأحد إليهما من سبيل :فالناس فى الحقيقة يستذلهم الحرص على الحياة والخوف على القوت .فهم من خوف الذل فى ذل ، ومن خوف الفقر فى فقر . " :أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من

دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور ، أم من هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور . " يقول ابن القيم فى مناجاة الله : يا من ألوذ به فيما أؤمله ! ومن أعوذ به مما أحاذره ! لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يُهيضون عظما أنت جابره ! ذلكم هو التوحيد الكامل . وذلكم ما يجب أن يُستشفى به أولئك الضعاف المساكين ، الذين يريقون ماء وجوههم فى التسكع على الأبواب ، والتمسح بالثياب ، والزلفى على الأعتاب . يقول صلى الله عليه وسلم:

"إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله . "

وعن ابن مسعود أن رسول الله قال " :ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلى أمرتكم به ، ولا عمل يقرب إلى النار إلى وقد نهيتكم عنه ، فلا يستبطئن أحد منكم رزقه . فإن جبريل ألقى فى روعى أن أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه. فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا فى الطلب . فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله ؛ فإن الله لا ينال فضله بمعصيته" .

هذا وصلوا وسلموا ...

الموقع الرسمي للشيخ القارئ نبيل الرفاعي

http://www.nrefaei.com